

## رمضان في عاصمة السلطنة (\*)

لهذا الشهر في هذه العاصمة مظهر غريب لا نعرف له نظيرا في غيرها من بلاد الاسلام وهو يرى على أكله وائمه في قسم استانبول منها ، أما في النهار ترى أكثر المطاعم والمشارب والملاهي والجامع الجامعة مغلقة لا يختلف اليها أحد ، وترى أمارات الصيام ظاهرة على أكثر الناس فلا تكاد ترى أحدا يدخن ، وترى المساجد الشهيرة عامرة بالمصلين والواعظين والمستمعين والمتفرجين الطوافين ولهذا كله نظير في البلاد الاسلامية الاخرى وإنما روقه هنا بجمال المساجد وزينتها واختلاف الناس من جيم الطبقات إلى المشهور منها ولا سيما جامع اياصوفيا العظيم ، ويتدى هذا من وقت صلاة العصر الى قرب المغرب فمن الناس من يسمع الوعظ ، ومنهم من يسمع الحفاظ ، وفي الأستانة كثير من حفاظ القرآن بعضهم من حملة العلم وبعضهم من حملة الطرايش ومنهم المرتلون المجيدون الذين ينشع المستمع لتلاوتهم ما لا ينشع لتلاوة الحفاظ أمثالهم في مصر ونحشوع جوارحهم واجتلابهم التطريب والتكلف والحركات التي اعتادها أكثر قراء المصريين . نعم ان أئمة المساجد هنا يقرأون القرآن في الصلاة ولا سيما صلاة الجمعة كما يلقون خطبتها بالنغم الموسيقي الذي يشبه نغم القسيسين في الكنائس ومنهم المسرفون في ذلك والمقتصدون

وينا يكون انطلق الكثير من الناس في المساجد بين العصر والمغرب يكون شارع « شهزاده » مكتظا بالرجال والنساء الذين يؤمنونه من جميع ارجاء المدينة فيكون كالمعرض العام لم حتى ان كثيرا من أفراد الأسرة السلطانية يجيئون كل يوم في هذا الوقت . وفي ايام من الشهر وهو يوم زيارة البردة النبوية الشريفة التي يسمونها « خرقة سادات » رأينا نساء القصر السلطاني ذاهبات في مركباتهن الكثيرة الى جهة شارع « شهزاده » وليس لهذا الشارع مزية في السمة أو الجمال على غيره

(٥) كتبناها في الأستانة لتشر في جزء رمضان لقد نذكره

الآن ولعله كان في وقت ما اوسم الشوارع وأجملها على أن السكان في تلك الجهة  
جلهم او كلهم من المسلمين وكان يكون فيه في هذا الوقت من تبرج النساء بزيتن  
ومغازلة الرجال لمن مالا يكون في مكان آخر في وقت آخر الا في معاهد النزهة في  
أزمستها الخاصة كالكاغدخانه ومروج (قاضي كوي) و«حيدر باشا» و«بكهوز»  
وغيرها من المروج والوديان والندران وموارد المياه والشراطي والغابات وكل ذلك  
كثير في ضواحي هذه العاصمة التي لا نظير لموقعها في الدنيا ولكل معبد من معاهد  
نزهتها موسم من أيام الربيع والصيف والخريف يؤمه فيها الرجال والنساء بحلهم  
الراهية الالوان متبرجات بزيتن الخاطفة للابصار، حاسرات عن وجوههن المميلة  
للأعناق، ولا تسل عما يكون هنالك من المغازلة ولكن مع الوقوف عند حدود الأدب  
قلنا يمتدونها الا في الجماع الكبيرة التي يجتمع فيها عشرات الالوف من النساء والرجال  
كجمع عبد الخضر في الكاغدخانه

في هذه السنة عنيت الحكومة بالمحافظة على الآداب الاسلامية في شهر رمضان  
ومنها منع الخلاعة والتهتك في معرض شارع الشاهزاده في أصل النهار كنع إظهار  
الفطر وسبب ذلك انها علمت ان من تدبير الجمعية الخفية التي شاع امرها، وانكشف  
سرها، أنها كانت تريد ان تكيدها للحكومة الاتحادية الحاضرة باغراء بعض الفواجر  
من النساء بالاسراف في التهتك في رمضان بصفة لم يسبق لها نظير ليبيع على الحكومة  
أهل الدين والفيرة على العرض، ولولا هذا لركت الحكومة الأمر على حاله ولو تركته  
لما وقف عند الحدود المتعدي من قبل لان الناس قد شعروا بما لم يكونوا يشعرون  
به من الحرية والاطلاق في شؤونهم الشخصية ودليل ذلك ما جرى من المنكرات  
والفواحش في كثير من البلاد التي لم يكن يجري فيها ذلك وعدم صناع الحكومة  
لكوي أهل الدين والأدب والفيرة على العرض بل قبضت الحكومة على بعض  
أهل العلم والفضل لتأهضتهم نساء الافرنج اللاتي جئن بلدهم للرقص والفحش  
وأرستهم الى ديوان الحرب العربي لمحاكمتهم على ذلك العمل الذي سمته حكومتهم  
المحلية ارتجاعا ولكن قيل إن شيخ الاسلام لما بلغه ذلك كتب الى ديوان الحرب  
العربي بوجوب اطلاقهم لانهم عمالوا ما هو الواجب عليهم وقد أمسكهم ديوان الحرب

أياماً لتحقيق ثم سرّحهم إلى بلدهم ، وجملة القول ان الحكومة المركزية عيّنت بحفظ آداب الدين الظاهرة في العاصمة وحكومة بعض الولايات باضعها طال بنا الاستطراد فنعود إلى بيان ما يتعلق بـرمضان خاصة فنقول ان وعظ بعض وعاظنا انترك هنا يشبه وعظ بعض الشيوخ الدجالين بمصر في خطط المسائل الدينية بالخرافات والأباطيل وقد وقفنا على واحد منهم في جامع أياصوفيا فإذا هو يقول في وعظه ان الدين يأمرنا بالنيل والمسكنة والانكسار ورأينا بعض الواقفين للاستماع من الشبان المتعلمين يتبرمون ويتأفف منه قائلته: الواعظ يقول هذا والله تعالى يقول (٦٣: ٨) وقوله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يُعطون) ولعله لو راجعه أحد في قوله وذكره الآية الكريمة لذكر له أنه أخذ هذا القول من بعض كتب الفقهاء أو الصوفية كالشيخ احمد الرفاعي رحمه الله تعالى ، وقال انما الواجب علينا ان نهتدي بأقوال العلماء والسلحاء لا بالقرآن لانهم اعلم منا بالقرآن ، ولعل الاحتجاج بالآية ضلالاً ميبناً لانه يتضمن دعوى الاجتهاد ونخطة العلماء ، فهذا ما تعودنا من مثلهوما أجدرأمة تروج فيها هذه التعاليم الباطلة ، وهذه الخبيجة الداحضة ، بأن تصرب عليها الذلة والمسكنة ، وتكون بهارضية متعبطة ، لانسى إلى العز سعيه أو يرفض امر الله ونبيه ، وهذا ما حل بالمسلمين ، من جراء تطعيم هؤلاء الجاهلين الظالمين ، فقد أعرض المستعدون لإدارة أمور الأمة عن تعاليمهم إلى تعاليم مينة على أساس الكفر والالحاد ، وقالوا اننا اذا بقينا على هذا الدين فنحن سائرون إلى العدم والاقراض ، لان الأمة الدليلة المسكينة ، لا يمكن أن تحفظ استقلالها بين الأمم العزيرة الغنية ، فكذا يوجد فينا من يهدم الدنيا والدين ، وعبثته على المسلمين تحريم الاجتهاد وجوب تقليد جميع المؤلفين الميتين ، هذا وان هنا وعاظنا لا يوجد لهم نظير في مصر ولا في سورية وامثالها من الاقطار الاسلامية وهم وعاظنا السياسة واكثر وعاظنا هذا العام يخوضون في السياسة بايماز الحكومة الاتحادية وقد سهل عليها هذا الايماز بأن شيخ الاسلام نهي أن يتصدى احد للوعظ الا من يأذنه مقام المشيخة به وهو لا يأذن الا لمن يعلم انه يقع رغبة الحكومة في تأييد سياستها حتى ان الجمعية العلمية عيّنت واعظين من قبلها وأذنت شيخ الاسلام بذلك فأمر شيخ الاسلام بمنعها من الوعظ فهاج ذلك منع الجمعية

وجاهير العلماء واظهروا ذلك في مجلتهم « بيان الحق » وما يقولونه أكثر مما كتبوه ومنه ان شيخ الاسلام ليس له حق في منع العلماء من الوعظ والارشاد وهو فرض عليهم الا اذا كان له حق في منعهم ومنع غيرهم من سائر فروض الكفاية كصلاة الجنائز مثلاً ، وزادهم سخطاً وحقناً ما نقل اليهم من كتابته الى نظارة الداخلية بوجود منع هذين العالمين من الوعظ بالقوة اذا هما تصدياً له ولحمد الله انهما لم يفعلوا شيئاً لو فعلوا ومنعتها الحكومة بالقوة لكان ذلك من سوء التأثير في الامة ما لا خير فيه

من هؤلاء الوعاظ السياسيون المعمون ومنهم غير المعمين ولعله لا يوجد في المعمين القدر الكافي للقيام بالوعظ وبلغني ان بعض الضباط وعظ الناس في اول جمعة من رمضان في « يكي جامع » - الكاف هنا تركية تقراً نونا - فقال في وعظه ان من الأمور المنافية للحكومة الدستورية وجود إمارة مكة المكرمة لأنها عبارة عن حكومة مستبدة في ضمن الحكومة « المشروطية » فيجب إلغاؤها وان لا يكون في الحجاز أمراً ولا نعي لغير الوالي ومن تحت ادارته من المأمورين ، ومن هؤلاء الوعاظ من حث الناس على أن يدفعوا ما عليهم من الزكاة لخزينة الحكومة مع علمه بأن مال الزكاة خاص بالمسلمين وله مصارف تنفق عليها لا تصرفها الحكومة فيها بل تضعها مع سائر أموالها وربما تنفق منها على بناء الكنائس التي قررت بناءها للروم والبنغار - ومنهم من استنبط من إكرام النبي (ص) لكعب بن زهير (رض) يردته الشريعة وجوب تعظيم العسكر وطاعتهم لأن سبب إكرامه هذا بعد أن كان أهله دمه هو قوله في قصيدته

ان الرسول لسيف يستضاء به مهتد من سيوف الله مسلول

قال والمراد بالسيف العسكر ، فهذا هو وجه الدلالة على ما استنبطه ، ومنهم الذين يدور وعظهم على طلب الاعانة للاسطول فهم يفسرون الآيات الآخرة بالبذل يستوفون بها الأكل ومنهم من يجمع التراجم والدنانير في درسه رأينا اسماعيل باشا مبعوث طووقات يفعل ذلك وهو الذي قال في درسه ان الاسلام عبارة عن الجهاد في سبيل الله بالمال والنفس ، أي فمساعدة الأستطول أحد شطري

الاسلام ، وقد وقفنا على درسه فأعجبنا منه حثه على الاهتداء بالقرآن وتصريحه بأنه لا حياة لنا الا به ، وبما قاله ان هذا القرآن أنزل علينا لأجل أن نكون به سادات العالم ومالكي الممالك كلها ، وبلفنا عنه كلام غريب في تأييد جمعية الأتحاد والترقي وكذا عن غيره ولا نخبر في ذلك وان قال بعضهم ان كلمة التوحيد معناها الأتحاد والترقي فالجمعية عين الاسلام وواقعها هو الله تعالى وكل مسلم هو من افرادها ، وعلى هذه القاعدة يكون من فيها من اليهود والنصارى مسلمين ولكنهم لم يصلوا بذلك

ووقفنا في مجلس أحد العلماء في جامع أياصوفيا فإذا هو احسن من وأيتا في هذه المدينة وعظا وهو يدافع عن الاسلام وعن علمائه بعقل ويعرض بالشبان المتفرجين المارقين يقول يظن بعض شبانا ان الاسلام يحول دون الترقى وان العلماء هم الذين يمنعون المسلمين من وسائله وهؤلاء يهرفون بما لا يعرفون فان الاسلام هو دين الترقى والمدنية والعمران وحمته من العلماء هم الأدلاء على ذلك وما اصاب المسلمين من خير وسعادة فمنهم (قال) رأيتم هذه المدينة ان فاتحها السلطان محمد هو « خوجه » من اصحاب العائم وهكذا كان جميع الفاتحين الذين اسسوا ملك الاسلام

يتماز علماء الآستانة على علماء مصر بالالمام بالسياسة علما وعملا وسبب ذلك أن الكثير من ابواب أعمال الحكومة مفتحة لهم ويكون منهم الوزراء ورؤساء المحاكم وغير المحاكم وناهيك بمنصب القضاء الشرعي في الدولة فان القاضي الشرعي يكون رئيس محكمة الحقوق والمضو الاول في مجلس الادارة وله وظائف أخرى في الحكومة ولو كان العلماء مستعدين كما يجب لكان زمام القضاء كله والادارة بأيديهم وبمسلب القضاء الشرعيون بعض ما كان لهم في هذا الدور من الحكومة والحق ان ما كان لهم هو كثير جدا

ليالي رمضان في استانبول

ذلك ما احببنا يانه في أيام رمضان وأما لياليه فهي ليالي سرور وطمو وعزف

وقصفت ، وتسم المعازف التورية - كالعود والقانون والكنجا - وغير التورية في أكثر الملاهي التي تدعى في البلاد العربية بالقهاوي وفي البلاد التركية بيوت القراءة ( قراءتخانه لر ) وفي غير هذه الأماكن أيضا فتعجب الانسان من كثرة المعازف في هذه العاصمة وسبب ذلك ان لاهلها نساء ورجالا عناية بالمعزف والموسيقى ويتعلمون ذلك في مدارس خاصة تسمى اصحاب الطبول الكبيرة يجولون في الشوارع من أول الليل الى وقت الامساك قبيل الفجر ، وناهيك بدور التمثيل والرقص ولعل أكثر الناس يسهرون الليل في القهوه والسرور الا قليلا ، والتزاور في الليل معتاد أيضا كما نمهد في مصر وسورية ولكن لا يوجد في البيوت حفاظ يرتلون القرآن كما يوجد في مصر

وقد ظهر لي ان لصلاة الجماعة وصلوة التراويح من الاقبال والعناية في الآستانة فوق ما لها في مصر فالصاؤون فيها أظن أكثر ، ومكثهم في الصلاة يكون أطول ، ولكنك ترى أكثر المصلين في بعض المساجد من السكر وتجد عددا كثيرا من الصبيان ولا يخفى أن السكر كله كان يكون من خارج الآستانة و بعد الدستور صار يؤخذ منها أيضا

#### نساء الآستانة في رمضان

يمتاز نساء الآستانة على نساء البلاد العربية بالصلاة في المساجد يقل ذلك منهن في غير رمضان ويكثر فيه حتى ان من المساجد الصغيرة ما هو خاص بهن لا يدخله من الرجال الا الامام الذي يصلي بهن والواعظ الذي يعظهن بعد الظهر وقد يكون الامام هو الواعظ ومنهن من يصلين في الجوامع الكبيرة وقد أخذ هن في هذه السنة حظائر في مؤخر المساجد تتجهين عن الرجال فيها ويدخلن من باب خاص بهن ، وإليك ليراهن قبل العشاء بنصف ساعة أو أكثر ذاهبات الى المساجد افرادا واسرابا الأم وبناتها والجاراة وجاراتها منهن المتلفعات بالملآت والحبر ، ومنهن لابسات الأردية والجبب ، وأكثرهن سافرات ، ومنهن من تصلي التراويح في بيوتها وهذا مما يفضلن به نساء مصر وسورية ، اني أرى أن اختلاف النساء الى المساجد يعلي نفوسهن ويرفع قيمتها في نظر صواحبها وقد كن يصلين في المسجد

على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما حمل المسلمين على منعها منها في أكثر البلاد إلا شدة الفيرة وكراهة تبرج بعضهن في غدوهم ورواحن وتساها الآستانة من هذا التبرج حظ عظيم وناهيك بالمتبحرات في الشوارع والسبع في أيديهن يعشن بها فتكون أشد جذبا لأبصار الرجال اليهن من سائر حليهن وزينتهن ، وكأني بهن يجبن من يعترض عليهن في ذلك بقول تلك الشاعرة العربية

ولله مني جانب لا أضيعه      ولله مني والخلاعة جانب  
ومن زينة الآستانة في ليالي رمضان قناديل منارات المساجد ولكل مسجد من المساجد الكبيرة هنا منارتان على الأقل ولبعضها أربع منارات وللجامع السلطان أحمد ست منارات فهم يمدون حبالا بين المنارات ويكتبون بالقناديل فيها كلمات : بسم الله ، الله محمد ، حسن حسين ، نور على نور ، يا حنان ، يا رمضان ، خوش كلدي ، وأمثال ذلك وما يكتب بين منارات هذا المسجد الليلة يكتب غيره في الليلة الأخرى ، وما يكتبونه يقرأ من الأماكن البعيدة لوضوحه وسمته ، فهذا نأ تاريخي عن حال أهل الآستانة في رمضان لا يخلو من الفوائد وربما يتغير بعضه في السنين الآتية فيكون مما يعرف به الفرق بين الماضي والآتي

## حجاب المرأة في الإسلام \*

أما ما ورد في القرآن والسنة في هذه المسألة من الآداب فهو قاصر على ما يأتي:

( ١ ) الأمر للرجال بنقض النظر عن النساء بعض الفص وكذلك للنساء فقال تعالى ( يفضوا من أبصارهم ) و ( يفضضن من أبصارهن ) فان الواجب ان لا يبطل الانسان النظر الى وجه جميل يخشى منه الفتنة فان له النظرة الاولى وليس له الثانية . وقد سوى الله تعالى في أمر الفص الرجال بالنساء وهو يشمر بأن كلا الطرفين مكشوف للآخر